

المتقارب كالراء واللام ، والطاء ، والسين ، وغير ذلك مما يجري هذا المجرى ، فمتى كانت الكلمة مركبة من حروف متباعدة المخارج أثر التركيب فيها أنراً وهو الحسن والجودة في الغالب ، ومتى كانت الكلمة مركبة من حروف متقاربة المخارج جاء بخلاف ذلك في الغالب أيضاً^(١) .

وقياس ابن الأثير غير مسلم ، وهو قائم على ألفاظ مشكوكة المفهوم ، كاختلاف الأجزاء وتباين المفردات ، ولو قسنا تركيب اللفظ على تركيب الأشياء لصح لنا تركيب الكلمة من مكرر الحرف الواحد مرات ، كما يتركب المثلث المتساوي الأضلاع والمربع والمخمس ، فهل انتفت الفائدة والحسن من هذه الأشكال للتركيب من أجزاء متشابهة تمام التشابه ؟

وهل انعدمت الفائدة والحسن من تركيب جسم الإنسان من شقين متشابهين في الأعم الأغلب من الأعضاء ، وتركيب الأصابع المتشابهة في كفى ابن الأثير ؟

إن الكلمة صوت ، فائدته الأساسية التامة هي الدلالة على معناه ، والحروف في أي وضع ومن أي جنس قد اتخذت شكلاً يميز معنى عن معنى ، مع رعاية اليسر على اللسان والسمع ، ولا يخلو لفظ موضوع بعد العلم بالوضع من إفادة هذه الدلالة ، فكيف يكون لبعده المخارج وقربها سلطان في تحديد فائدة اللفظ ، حتى يصير التشابه خطراً على هذه الفائدة ؟

إن ابن الأثير يوغل في الخيال حين يقول : « إنها اكتسبت حسناً عند تركيبها من حروف متباعدة المخارج ، واكتسبت قبحاً عند تركيبها من حروف متقاربة المخارج ؛ لأن النطق إذا أتى على مخارج حروف اللفظة وهي متباعدة ليجمعها ويؤلفها كان له في ذلك مهلة وأناة ؛ لأن بين المخرج إلى المخرج فسحة وبعداً ،

(١) الجامع الكبير : ٣٩ .